مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد8،العدد1 – مارس 2021

OEB Univ. Publish. Co.

الأخلاق والجامعة وفق ابستيمولوجيا الفكر المركب لدى إدغار موران

Ethics and the university according to the epistemology of complex thought in Edgar Moran

ط.د. سارة جديد*، مخبر حوار الحضارات والمعرفة، جامعة باتنة –1–، الجزائر.
saraphilo_91@live.fr

تاريخ التسليم:(2020/10/15)، تاريخ المراجعة:(2020/11/30)،تاريخ القبول:(2020/02/18)

ملخص :

تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة تقديم تصور معرفي فلسفي عقلاني حول الأخلاق بوصفها الموضوع الأهم، القديم المتجدد، وكيف نظر إليه إدغار موران(1921–؟) ونظر له، ثم علاقته بالجامعة كفضاء فسيح تصنعه تارة وتدعو إليه طورا آخر، سنحاول قدر المستطاع أن نشرح الوضعية الحالية التي آلت إليها الجامعة في غياب الأخلاق، ثم التفصيل في الأخلاق المركبة كنوع جديد يطفو على الساحة المعرفية، على أنه يجب التنويه إلى أن موران لا يدعي تقديم حل سحري ثابت ونهائي لمعالجة مشاكل الجامعات الأخلاقية في أعماله المتعلقة بهذا المنحى بقدر ما يقر بأنها مقاربة ممكنة ضمن ممكنة معرفية كثيرة وهائلة قد تتقاطع مع طرحه إثراء وفهما واتفاقا.

ومن بين النتائج المتوصل إليها: أن الأخلاق المركبة لن تحضر إلا إذا تم تفعيل مسببات حضورها ومن أبرزها الجامعة، وأن هذا الاجتماع سوف يؤسس لدرس وجودي واقعي تجتمع وفقه الإنسانية وتتلاقى وتتحاور بكل حب، وهو الأمر الذي يساعد في إعطاء معنا للعالم.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الجامعة، الفكر، التعقيد، الإبستيمولوجيا.

Abstract :

We try to present a rational, philosophical, rational knowledge about morality as the most important topic, and how did Edgar Morin (1921-?) View it, then his relationship with the university as a vast space that it sometimes makes and invites to another phase, and detailing complex morals as a new kind that floats on the cognitive scene, then Morin He does not claim to provide a stable and definitive magic solution to address the ethical problems of universities in his works, as he admits that it is a possible approach within many knowledge capabilities that may intersect with his offer of enrichment, understanding and agreement.

Among the results reached: that complex morals will not attend unless the causes of their attendance are activated, most notably the university.

Keywords : Ethics, University, thought, complexity, epistemology.

* **المؤلف المراسل: جمال بن جديد ،الإيميل: bendjdiddjamel@gmail.com**

مقدمة:

إن الدرس الوجودي الذي بدأت به فلسفة الإنسان المتشعبة، وصولا إلى الدرس الهرمينوطيقي، سيقود الدارس والمشتغل بحقول المعرفة الإنسانية إلى المرور بعدة محطات أساسية لعل أبرزها هي المحطة الأخلاقية، أو سؤال الأخلاق الذي كان الحاضر الدائم في الكتابات والمؤلفات، وكذا الفاعل والمستدعى الأساسي في الأعمال والممارسات، وهذا للقيمة الكبرى لها في إرساء قواعد صحيحة وصلبة للمشاريع الفكرية المختلفة.

إنه من اللازم والمؤكد الوقوف عند هذه الهالة العظيمة التي يعتمد عليها حاضر الإنسان ومستقبله، فالبشرية تحتاج في بقائها وتطورها إلى عالم النظام المريح، ولكي تعبد طريقها صوب آفاق مستقبلية هادفة وخلاقة وجب أن تتقوى بمعطا متين يعينها على محاربة الفوضى والرداءة و سوء التصرف، وكل ما من شأنه أن يخل بالفعل الحسن والمتوازن، وهنا تستدعى الأخلاق وتطلب على جناح الضرورة لتساهم في إحقاق هذا المطلب المساير لسنن الكون ونواميسه.

ثم إن الحديث عن الأخلاق سيجرنا بالضرورة إلى الحديث عن خصوصياتها ومزاياها وكيفية تحركها واشتغالها وقبل كل هذا عن منبتها الأول من حيث مكان الخلق/التكوين/الميلاد، وكذا نوعية الفكرة في حد ذاتها، وهو الأمر الذي سيوصلنا حتما في تقديري إلى الحديث عن الجامعة من حيث هي الصرح المجيد الذي فيه يحدث كل ما ذكر سابقا وأكثر.

فالأخلاق والجامعة إذن موضوعان متواشجان متشاكسان إلى حد بعيد وهذا الحال هو ما سوف نحاول فهمه وتحليله من منطلق الفكر المركب أو إبستيمولوجيا التعقيد الخاصة بإدغار موران.

مشكلة الدراسة:

هناك العديد من الإستفهامات التي تطرح نفسها قسرا في خلدي طالبة الإجابة عنها، خاصة عند تمثل الجامعة كمركز فسيح لتعاطي المعلومات وصنع القرارات، واختبار للقدرات وتفعيل للمهارات، وفيها و بها يبنى الإنسان وتبنى الأوطان أمام الشهود والأعيان، وبما أن لها الوظيفة التعليمية البحثية وكذا الأخلاقية، والرسالة المجتمعية والتطور الحضاري، فقد ارتأيت أن أركز على هذا الجانب الفعال من أصل جوانب كثيرة تمتلكها، حيث أن انفتاح الجامعة على محيطها الثقافي بين انتظارات ورهانات أهل الفكر والخبراء والمهتمين هو تكريس للفعل الأخلاقي المستخرج منها تعلما وتعليما وكذا تطبيقا لها – الأخلاق– بكيفيات متمايزة وهذا الوضع سيسمح لنا ويجعلنا نطرح العديد من الإشكالات الإبستيمولوجية حولهما وعن طبيعة العلاقة القائمة بينهما على غرار:

بأي معنى فهم إدغار موران الأخلاق وعلاقتها بالجامعة؟ ماهو مرماه عند تعويله عليها في بناء مشروعه المعرفي؟ ثم كيف تساهم هذه الثنائية – الأخلاق والجامعة– في تشييد حضارات الأمم؟.

أهداف الدراسة:

هدفنا في هذه الورقة البحثية ليس عرض لجملة معلومات ومعارف تخص موضوعي الأخلاق والجامعة والتعريف بهما، وإنما نسعى إلى تبيان أهميتهما وخاصة الشق الأخلاقي منهما وانعكاساته على كافة الأصعدة، الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والفكري والرياضي...إلى آخره.

ولكن وفق المنطق التعقيدي أو الفكر المركب الذي يدعو إلى تبيان أهمية الفكرة من منطلق ارتباطها مع باقي العناصر المتعلقة بها، أو ذات العلاقة الوطيدة أو الخفيفة بها دون بتر أو فصل أو اختزال، لتكون بذلك الفكرة مفهومة بوجودها وسط البيئة الحقيقية التي أوجدتها والتي جعلتها تتفاعل مع عناصر أخرى تغذيها وتدعمها وتغنيها، فيكون المعنى بهذا واضحا غير مجزأ فنتمكن منها.

وعليه يكون الهدف الأساسي من الدراسة هو كشف الغطاء عن موضوع الأخلاق وفق منظور الفكر المركب، وضرورة تطبيقها وتفعيلها داخل الجامعات التي ستساهم بدورها هي الأخرى في تحسين المستوى الثقافي والمعرفي والعقلي والنفسي والإجتماعي... للفرد والمجتمع على حد سواء، لأن العقل المركب يستدعي دائما وبشكل مباشر كل المجالات المختلفة، وعلاقاتها المتواشجة مع بعضها البعض، فالهدف هنا إذن هو محاولة تحقيق المسعى إلى تحسين الواقع الجامعي بدمج البعد الأخلاقي وبث تفاصيله داخل تفاصيلها وثناياها المختلفة.

وهو كذلك هدف تطويري تفعيلي تكميلي لما كان يوجد من نظريات أخلاقية كلاسيكية، وإضافة الإبستيمولوجيا التركيبية التي جاء بها موران خاصة في ما يخص الأخلاق ضمنها، وهو الأمر الذي سيعود بالإيجاب على البلد والمجتمع على حد سواء.

منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي وهذا لرؤيتهما الأنسب في تحليل ومناقشة الموضوع.

مقاربة مفاهيمية معرفية:

أ / **الأخلاق:** كنا قد نوهنا سابقا إلى الاهتمام الكبير الذي حظيت به الأخلاق من طرف الجميع دون استثناء عربا كانوا أم عجما، مسلمين أم غير مسلمين، فنجد أن إدغار موران يقربأن" هناك هوة سحيقة بين التنظير والممارسة في الموضوع الأخلاقي، إذ نجد على المستوى الأول تراكمية معرفية هائلة من قبل فلاسفة كثيرين تحدثوا بإسهاب حول الموضوع، أما في ما يخص المستوى الثاني– الممارساتي – فيصعب الأمر كثيرا عند نزول الفكر إلى الواقع التطبيقي وذلك للتنوع الهائل للبنيات الذهنية والتركيبات البشرية، الأمر الذي يجعل إعطاء معنا واحدا للأخلاق شاملا وصعبا جدا"(موران وطارق رمضان 2013).

كما نجد أبو حامد الغزالي(*) قد تطرق للموضوع بنوع من التفصيل، وذلك في كتابه الميزان، حيث جاء في تعريفها أنها << إصلاح القوى الثلاث، قوة التفكير، وقوة الشهوة، وقوة الغضب>> (مبارك، 1988، ص152).

أي أن الأخلاق حسبه ممارسة إصلاحية تمس الملامح المختلفة للإنسان نفسية كانت أم جسدية، وهي بهذا أداة تقويمية رادعة لكل فعل غير قويم ولا منضبط.

كما نجده أيضا في موضع آخر يعرف حسن الخلق بأن جعله << يزيل جميع العادات السيئة التي عرف الشرع تفاصيلها، ويجعلها بحيث يبغضها فيتجنبها كما يتجنب المستقذرات، وأن يتعود العادات الحسنة، فيشتاق إليها فيؤثرها فيتنعم بها >> (مبارك، 1988).

صحيح أن التعريف الثاني لا يبتعد كثيرا في معناه عن مدار التعريف الأول، لكننا نلاحظ في هذه المرة أنه ألصق بالأخلاق صفة التنقية والتنظيف، بمعنى محاولة الإنسان الدائمة و الدءوبة في التمشي وفق المسار المستقيم الذي رسمه له الشارع الحكيم– الله– بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فيكون بذلك على خطى الخلق الحسن المليح.

لقد طرح سؤال جذري حول الأخلاق ينم عن صعوبته وسهولته في ذات الوقت ما هو شكل الإنسان الذي نريد الوصول إليه؟ كيف نطور معنى النحن ضمن الإطار الأخلاقي؟ أي ضمن معنى المجموعة؟ ثم ما هي أحسن علاقة أخلاقية مع الآخر؟ .

هذا عن مفهوم الأخلاق ومعناها، أما إذا توجهنا إلى تقصي مفهوم الجامعة سنجد أنه ربما يعد مفهوم الجامعة من المفاهيم العصية على المفهمة، وذلك لاختلاف رؤى ومشارب الباحثين وتخصصاتهم، فتختلف بهذا تعريفاتهم لها، فنجد مثلا <<علماء التربية يعرفونها بأنها مؤسسة تعليمية تعرض التعليم العالي، وفي نظر علماء الاجتماع هي مؤسسة اجتماعية نشاطها موجه لتلبية الطلب الاجتماعي على التكوين العالمي، والمساهمة في التنمية الاجتماعية للمجتمع، أما عند الباحثين في مجال الاقتصاد فهي مؤسسة هدفها إعداد رأس المال البشري الضروري لقيادة التنمية الاقتصادية في بلد ما بأقل التكاليف الممكنة، بمنطق الرشادة والاحتراز والتواصل العقلاني>> (غري، 2016، ص4).

ب/ الجامعة:يطلق مصطلح الجامعة على << التجمع الذي يضم أقوى الأسر نفوذا في مجال السياسة من أجل ممارسة السلطة، وهكذا استخدمت كلمة الجامعة لتدل على تجمع الأساتذة والطلاب من مختلف البلدان و الشعوب>> (غراف، 2010–2011، ص29).

(*) أبو حامد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري (1058م –1111 م): لقب بالعديد من الألقاب منها حجة الإسلام، شرف الأئمة، العالم الأوحد... إلخ هو فيلسوف ومتكلم وعالم عقيدة كتب الفارسية والعربية، له مجموعة مؤلفات قيمة منها 228 كتابا و رسالة أشهرها تهافت الفلاسفة، وإحياء علوم الدين.

أما في العالم الإسلامي، فقد كان مسجد قباء الذي شارك في بنائه الرسول صلى الله عليه وسلم، مركزا للتعليم ومنتدى للوافدين، ومقرا للحلقات الدراسية، ومنطلقا ينشر الدعوة الإسلامية، لذا يحق القول أن مسجد قباء يعد أول جامعة تستند إليها جامعات اليوم.

الجامعة الكلاسيكية: وتعرف بأنها الجامعة التي يتم فيها استعمال الفضاءات الأرضية الشاسعة مع<< تأثيثها بالمعدات الإدارية، والمعدات التقنية، وتشغيل عدد كبير من الأخصائيين والكفاءات العلمية، في المجالات التي تتكفل الجامعة بتدريسها، وهذا ما يتطلب مجهودا وتخطيطا طويل المدى، وتكلفة عالية>>(غراف، 2010-2011).[1]

الجامعة الافتراضية: ويمكن أن يقال عنها بأنها الجامعة التي تمكن الطلاب من متابعة الدروس الجامعية دون تقييدهم بعاملي الزمان والمكان، و<< تعطيه إمكانية متابعة التكوين حسب قدراته الذهنية، وأوقاته ومكان تواجده، وقد وصل تطور الجامعة الافتراضية إلى خلق عناصر افتراضية متممة، كالأستاذ الافتراضي الذي يدعم عمل الأستاذ التقليدي، أو المرشد البيداغوجي وهو عبارة عن برمجيات أنجزت بلغة البرمجة مختصة في مجالات الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة >>(غراف، 2010-2011، ص29).

إذن ما ورد في المقاربة المفاهيمية من مجموعة معارف تحاول توضيح معنى كل من الأخلاق والجامعة – على الأقل توضيحا جزئيا حسب جملة المفكرين الذين أتيت على إستغلال مراجعهم- يجعل من خيوط أفكارنا جاهزة لعمل ربط علائقي بين هذه الثنائية، وهي مرحلة في غاية الضرورة والتركيب، باعتبار الضبط المفاهيمي التوضيحي يعطي إيحاء للمشتغل والقارئ في ذات الوقت أن هناك ملحمة معرفية لاحقة ستكون، وستنجب منتوجا جديدا أريد من خلاله في الغالب الإفادة والإضافة والإنتاجية.

بين الأخلاق والجامعة -الأهداف والغايات- : وهنا نجد مقاربة الإجابة باستحضار مفهوم الفكرة، حيث أنه يجب الاشتغال على الفكرة، لأنها هي المشكل الجوهري للأخلاق، نحن نجد أمامنا دائما علوما كثيرة ومختلفة أقصت الأخلاق من ساحتها، بينما كان من اللازم أن تحتضن كل الفروع والتخصصات هذا الفعل- الأخلاق-.

والإنسان منذ ولادته أي منذ البدء لديه مبدأ ثان بالإضافة إلى مبدأ الحياة الأول، وهو مبدأ النحن أو الجماعة، الذي يتضمن الأنا داخله، وبهذا المعنى يضحى مستعدا للتضحية بنفسه لأجل أسرته ومجتمعه ووطنه وغيرها من الدوائر الهامة بالنسبة إليه، هذا النشء يتطور ضمن مبدأ التفكير والعمل كما قال باسكال، ثم إن الأخلاق ليس لها وجود إذا لم يكن مبدأ النحن متطورا في أذهاننا، بمعنى أنه ناضج كفاية

حتى يفعل ويكون له التأثير والوزن المرغوب، ولكي يحدث هذا لا بد من تفعيل منطق العفو أو التسامح (La tolérance) النابع من القلب، والذي يتطلب فهما قويا جدا فالأخلاق يجب أن تكون لها الغلبة. وبالتالي فالأخلاق عند موران، رهان مستقبلي ملح على عكس طارق رمضان(*) الذي يجدها ضرورة ملحة حالية (**).

أما عن غاية الأخلاق عنده فهي المتعلقة بسعادة الآخرة، لأن كل ما عداها من المرتبطات بالحياة الدنيا هي مسماة بالسعادة على سبيل المجاز فقط، وهذا لأنها لا تعين على خدمة يوم الحق.

ولكن إذا وقفنا على نظرة الغزالي للأخلاق بهذه الكيفية، فإننا سنجدها مختلفة تماما عن الشكاك(*) أو دعاة المدرسة الشكية الذين تناولوها من زاوية مختلفة، تجعل الإنسان أو الفرد هو المسؤول الأول والمباشر عن جملة أفعاله، وبالتالي عليه أن يفعل ما يشاء ويهوى دون تدخل أي إرادة أو قدرة مخالفة لفعله وهذا راجع إلى أن الأخلاق حسبهم وهم زائف لا أساس له، وأنه قد وضع من طرف الحكام رغبة منهم في السيطرة على المحكومين، وتوجيه سلوكاتهم بما يخدم مصالحهم ومنافعهم الخاصة.

وأما هيوم(**) David Hume (1711– 1776)، فيجد أن << السلوك الأخلاقي يجب أن يعتمد على شيء لديه قوة تحريك أو دفع الإنسان على الفعل>> (سيد أحمد، 1992، ص45).

أي أن جملة الممارسات الأخلاقية حسبه مربوطة بقوة محركة ومسيرة لأفعال الإنسان، ولا يهم كيف يكون صانع ومالك هذه القوة، فقد يكون إلها، وقد تكون رغبة داخلية، وقد تكون دافعية خارجية، إذن هي جملة من العوامل المساهمة في إحداث الفعل الخلقي وإخراجه من حالة السكون إلى حالة الحدث والفعل، ضف إلى ذلك أن مصدر الأخلاق عنده– هيوم– هو الإحساس المباشر.

(*) Tariqu Ramadan (1962- ?) Islamologue, théologien, philosophe suisse, égyptien son ouvrage, l'urgence et l'essentiel, avec Edgar Morin Don quichotte octobre 2017 Au péril des idées avec Edgar Morin, 2015.

(**) في حديثه على ضرورة الأخلاق محاججا موران الذي قال برهانها كقادم آت، تحدث طارق رمضان أيضا على علاقة الأخلاق بالذات وبالجانب الروحاني بوصفه مفكرا مسلما متدينا، إذ لا يجب أن يخلوا كل فعل خلقي من الجرعة الروحانية حتى لا يقع الإنسان والحضارة في الفراغ والخواء المؤدي إلى عواقب وخيمة نفسيا واجتماعيا وعلى جميع الأصعدة، وهو الأمر الذي أكده موران من الحال الذي تمر به الحضارة الغربية لولا تدخل النفحات الروحية للحضارة الشرقية فيها ومنحها معنا جديدا.

(*) الشكاك: هو توجه فكري يتردد صاحبه بين إثبات الأمور ونفيها وهذا الشك غير منهجي ولا يوصل معرفة حقيقية، أشهر الشكاك عبر التاريخ هم السفسطائيون اليونانيون وكذا مؤسسها بيرون الإيلي متبني مذهب الشكية العملية (360 ق م – 270 ق م) منكرا في ذلك إمكانية المعرفة والدعوة إلى تعليق الحكم من أجل راحة وسكينة العقل.

(**) دفيد هيوم: فيلسوف ومؤرخ وعالم اقتصاد إنجليزي من أصل اسكتلندي، أول من طرح الفلسفة الطبيعية بنظرة تجريبية، معروف بحذره وشكه في العلوم والمعارف التي يتلقاها، تأثر بمجموعة من الفلاسفة مثل جون لوك وباركلي مؤمنا بأن كل معرفة جديدة هي نتاج الخبرة، من مؤلفاته: بحث في الفهم الإنساني 1746م، بحث في مبادئ الأخلاق 1751م.

لقد لاحظنا جيدا مما سبق أن الأخلاق تأخذ مفهوما مختلفا حسب توجه ومشرب كل فيلسوف فبعد الغزالي والشكاك و هيوم سنجدها قد اختلفت قبلا مع أفلاطون والمسيح، وبعدهم كلهم مع نتشه، حيث قال المسيح إن الأخلاق هي إبداء اللطف نحو الفقراء، وقال نتشه إنها شجاعة القوي، وقال أفلاطون هي الانسجام الفعال للكل، ربما يجب جمع هذه المبادئ الثلاثة لإيجاد أخلاق كاملة.

إذن فالأخلاق كعلم يبدأ حسب الجميع من الاجتماع والتنظيم، أي اجتماع الآراء والقرارات حول ما يخدم الإنسان وأحواله وما يحقق له الصالح العام، وذلك بالالتفات إلى كل الخصائص والتفاصيل المؤدية لذلك، وكل خاصية ينتبه لها فيلسوف ما بحسب توجهه، وطريقة حكمه، ولمها جميعا سوف يكون لنا جماع أخلاق مهذبة ومفيدة وصالحة للجميع، أما مسألة التنظيم فهي في غاية الأهمية، حيث يهدف هذا الأخير إلى قيام كل شخص بالشيء الذي يريده ويجيده خدمة لحياة المجتمع الذي يعيش فيه، في المقابل يخدم المجتمع حياته بالطريقة التي يفهمها، فتكون بذلك عملية التنظيم هذه ذات مصلحة عائدة على الجميع دون أنانية ولا خداع.

لقد أبدع كارل ماركس في خلق نموذج أخلاقي جديد مؤدي إلى السعادة الحقة، ولكن ذو منحى سياسي اجتماعي اقتصادي شوري، حيث << انطلق علم الأخلاق عنده من تلك النقطة التي تتعلق بمسألة التراكم الفكري المؤسس من قبل أيديولوجية المستغلين والمضطهدين، وينحصر الأمر هنا في إظهار حيوية أفكار السعادة وتأثيرها على التربية الاجتماعية الجديدة >>(نيشيف، وفولتشنكو، 1998، ص113).

ففند بذلك المنطق القائل: إما أن تقوم بدوس الآخرين أو سيقوم الآخرون بدوسك، وهو ما أنشأ هدفا واضحا وصريحا موجها لخدمة الثورة.

إن ماركس كان ذكي بحيث وضع هدفه المستقبلي في المحور التربوي الاجتماعي، وهذا للدور الفعال الذي تلعبه التربية المجتمعية في إخراج نشأ قوي أو ذليل، بحسب نوعية الأفكار التي يمتصها دماغه وانعكاساتها على شخصيته وتصرفاته.

حيث كانت السعادة عند الطبقة الكادحة (*) في المعنى الكلاسيكي هي أن ينام العامل المتعب المعدم وهو شبعان أو معه ما يكفي من خبز حتى الصباح، أو أن يذهب للعمل وهو يعلم أن أجرته قادرة على توفير مصاريف الطبيب دون دواء، وهو مع ذلك مقتنع وراض وسعيد، وهنا نلحظ أن مفهوم السعادة يختلف باختلاف الوعي وعمق الإدراك.

(*) الطبقة الكادحة: مصطلح ماركسي يعود إلى نظرية الطبقات التي أتى بها كارل ماركس، حينما قسم المجتمع إلى طبقات متصارعة بعضها يتحكم في بعض، فأما المتحكمون فهم الطبقة الحاكمة مع البرجوازية، وتمثل طبقة واحدة برجوازية في قبال الطبقة العاملة الفقيرة الكادحة وتسمى الطبقة البروليتارية، وهذه الأخيرة هي من تصنع الثورة وتقلب الموازين وتحلل العدل والمساواة.

وهو ما جعل ماركس يقوم بثورة لإزاحة هذا الصنم العتيق وتنظيف الرواسب الخاطئة والجاهلة بأخرى تعي معنى الحقوق والدفاع عن الأطراف المظلومة والكادحة.

لقد شدد إدغار موران في كتابه ثقافة أوروبا وبربريتها على ضرورة التسلح بالأخلاق على جميع الأصعدة والمستويات، حيث يجب التخلق من طرف الباحث العالم، وهو يقوم بدراسته وينجز مشاريعه، ويجب على الدولة التحلي بالأخلاق في ممارساتها للسياسة، وكيفية التعامل مع شعبها، ويجب على الإنسانية التحلي بالأخلاق عندما تتعامل مع الآخر المختلف عرقيا ودينيا ولغويا...إلى آخره.

والأخلاق تقوم وفقط على الوعي، فإن كان الوعي ناضجا حاضرا جنب البشرية الكثير من الأهوال والويلات، ويعطي موران في ذلك مثالا في التاريخ عن النازية التي انحازت إلى الجانب العرقي، واستعبدت ما سواها من الشعوب المختلفة، خاصة الساكنة الإفريقية الذين تعرضوا للاستعباد والترحيل والنفي والقتل وغيرها من مظاهر الجور والبطش.

كما لا ننسى حركتها– النازية– الشهيرة مع يهود المحرقة الهولوكوست(*) في أبشع صورة لها.

كل هذا حدث بسبب الانغلاق داخل فكر ثنائي << أي فكر ملبد بقطب اهتمام واحد على حساب الأقطاب الأخرى>> (موران، 2005، ص53) وبالتالي فالجانب الأخلاقي ضروري قيامه، وضروري وجوده وضروري تقويته حتى يضحى من الأسس المتينة التي تقام عليها المشاريع والنظريات الحقة.

إنه لمن الأخلاق المطالبة بإنسية جديدة تتعرف على أشكال البربرية الكاسحة فتبيدها، إنسية مختلفة تعانق ثقافة الاعتراف، وبلوغ الوعي المخبوء أو المتخاذل، إنه لمن الأخلاق لكي نعالج الأزمات والمحن، أن نعرف ماذا حدث حتى نتجاوز ونتصالح.

وفي نفس المنحى توفر الجامعة للطلاب مجموعة من المعارف والخبرات العميقة، مع فرصة فهمها بعمق، وشرح مكنوناتها بمعية الأستاذ الجامعي الذي يعد الموجه الايجابي للطالب داخل الجامعة، وبالتالي يستعمل في التعليم الجامعي كل الوسائل والتقنيات الضرورية لإيصال المعلومات، ونقل الخبرات والمهارات، كما يخضع هذا التعليم إلى المناهج العلمية المعروفة، ويتم وفق برامج محددة تعدها لجان علمية تضم علماء وأساتذة جامعيين ذوي خبرات راسخة وتجارب واسعة، والذين يراعون في أعداد هذه البرامج ثقافة المجتمع وتاريخه وخصائصه وحاجاته، وإنتماءه الحضاري.

البحث العلمي: إن البحث العلمي في الجامعة تمارسه فئة قليلة من أصل الدفعات الكبيرة والكثيرة المتخرجة في شتى التخصصات، هذا الأمر يفرض على الباحث التفرغ له تماما بغية الخروج بنتائج

(*) الهولوكوست : وتعني باليونانية المحروق، وبالعبرية الكارثة، وهي عبارة عن حادثة في شكل إبادة جماعية لليهود الأوروبيين- حوالي ستة ملايين شخص- أثناء الحرب العالمية الثانية، من طرف النظام النازي بقيادة أدولف هتلر، وذلك كان في ليلة التاسع من نوفمبر عام 1938، وفي الحقيقة هناك من يرى بأن الهلوكوست لم تكن خطة لإزالة الجنس اليهودي فحسب، بل شملت معها أجناسا آخرين كالغجر، والسوفيات والسود وكذا مجموعة من المعاقين وغيرهم.

حساسة وهامة، من شأنها أن تؤدي إلى تغيير المعرفة تغييرا جذريا، وذلك على مستوى مختلف القطاعات، سواء الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والثقافية والبيئية... وهلم جرا.

أضف إلى ذلك أنه من وظيفة الجامعة أن تهيئ لأساتذتها البيئة المناسبة للبحث، مثل تيسير إنشاء المخابر، ودعم تكوين وحدات البحث، وتمكينها من مختلف الوسائل الضرورية، بغرض توظيف نتائج أبحاثهم العلمية في نفع المجتمع المحلي ، ونفع الإنسانية بوجه عام.

تنمية المجتمع: يمكن للجامعة أن تنمي المجتمع من خلال مجموعة نقاط سنأتي على ذكرها، ولكن قبل هذا تجدر الإشارة إلى أن الوقائع الاجتماعية والتاريخية تثبت لنا وبكفاءة انه لم يسبق لمجتمع ما أن قام وتطور واستقوى من دون علم ومعرفة مؤخلقة، بحيث أن العلوم والمعارف المختلفة إذا ما فهمتها المجتمعات فهما جيدا وأحسنت تطبيقها وتطويرها، استطاعت أن تواكب الركب الحضاري، وتنطلق إلى الأمام دون رجعة، هذا الأمر فهمه الغرب جيدا وطبقوه، ونتيجة لهذه الممارسة المنبثقة عن تلكم التنظيرات، نلاحظ أن المجتمعات الغربية هي أكثر المجتمعات نماء وتطورا وتحضرا على الإطلاق، أي بفضل الإرتكاز على نتائج علوم ومعارف جامعاتها.

وبالتالي لنعود إلى نقطة البدء لنقول أن الجامعات في مختلف حقولها وتفريعاتها يمكن أن تنمي المجتمع من خلال:

تطوير البحث العلمي وجعله يتماشى وقيم ومبادئ المجتمع، ثم فهم بنيته الاجتماعية أكثر لأجل الوصول إلى نقاط القوة فيه، ثم استثمارها لأقصى حد ممكن بما يخدم الوطن والصالح العام.

معالجة مشكلاته المختلفة، كالفقر والبطالة ومشكلة السكن.... وذلك عن طريق اقتراح حلول فعالة وناجعة ممكنة وسهلة التطبيق في إطار صارم ومعقول.

النظر في احتياجات السوق والاقتصاد الوطني، وإكتشاف مكامن النقص في العمل ومتطلبات السوق، وذلك بفتح تخصصات جديدة مطلوبة ومواكبة لحاجات السوق الوطنية، مما يساعد بالنهوض بالاقتصاد الوطني إلى أبعد حد ممكن، ومنه امتصاص البطالة والاستثمار في الثروة البشرية، ورفع المستوى المعيشي في المجتمع.

تطوير مجالات البحث العلمي التكنولوجي المساعد لخدمة الإنسان والمجتمع في كل المجالات، مما يلغي بذلك مطب الأمية، وتثقيف المجتمع، ومواكبته لمجريات العصر.

ثم إن هذه التكنولوجيا يمكن تطبيقها في المجال الصحي مما يزيد من مستوى صحة الفرد والمجتمع، فيعزز بذلك الجانب الفيزيولوجي الصحي فيتمكن بذلك المجتمع بطريقة متلاحمة من أداء مهامه دون أي عراقيل صحية تعيق مسيرته ومستواه.

قيادة الحركة الفكرية والثقافية: إن من أكثر وظائف الجامعة وضوحا وجلاء هي وظيفة قيادة الحركة الفكرية والثقافية وذلك من خلال صنع إطارات وكفاءات يحتذى بها، من شأنها المساهمة في التغييرات الحقيقية أو الجذرية في قضايا المجتمع الثقافية والفكرية، وبهذه الخطوة فإنهم يقومون بتسليط الضوء على

مسائل حساسة وهامة، فيصححون رؤى خاطئة كانت سائدة في المجتمعات، وينيرون دروبا كانت مظلمة، ويحفزون همم الشباب، وينشئون المبادرات الخلاقة والايجابية التي تحرك عجلة التطور المجتمعي نحو أفقها الأقصى.

أهداف الجامعة الكبرى: إن إنشاء الجامعة جاء ليحقق مجموعة من الأهداف والمرامي التي سطرتها الدولة خدمة لمصالح البلاد، وفق ما يتماشى وخصوصية كل بلد << فلكل بلد سياسته التعليمية الخاصة، والتي تخضع لعدة أنظمة وقوانين .... حيث تكون الكثير ومصادر المعلومات العلمية والمناهج متوافقة مع اتجاهات البلد، الدينية والسياسية والاجتماعية، وعلى غرار هذه السياسات تتحدد الأهداف >> (الركب، 1986). وحسب ميثاق التعليم العالي، فإن أهداف التعليم الجامعي في الجزائر تتلخص في أربعة نقاط أساسية هي:

أ- التعليم والتكوين.

-ب- القضاء على الجهل والأمية.

-ج- الاستجابة لاحتياجات الجزائر التنموية.

د- الاستجابة للأعداد المتزايدة من الطلبة المقبلين على المؤسسات الجامعية.

على أن لا ننسى أن هدف تحقيق الأمن والاستقرار داخل البلد،والذود عنه ضد التهديدات الداخلية والخارجية، من أعظم الأهداف والمرامي التي تنشدها الدولة وتسعى إلى تفعيلها في كل حدث ومناسبة (الزويتي، 2017).

4- الجامعة والأخلاق الكونية المركبة: واحد من الأدوار الكبرى هو الدور الأخلاقي الذي ينبغي للجامعة أن تتحلى به وتنشره ليعمم كثقافة سائدة تميز الشعوب، هناك جملة من الفوائد المترتبة على الالتزام الأخلاقي في الجامعة يمكن إيرادها كالآتي:

يسهم الإهتمام بالأخلاق في تحسين المجتمع ككل، وذلك من خلال تخليق الكفاءات والأطر الجامعية لمختلف الطلبة الدارسين فيها، والقادمين من مختلف شرائح المجتمع، مما يجعل العملية تنعكس بالإيجاب، فيقوم هؤلاء الطلبة مستقبلا بتخليق الجيل القادم وراءهم .

1-<< الالتزام بالأخلاقيات يسهم في شيوع الرضا الاجتماعي.

2-أخلاقيات العمل تدعم البيئة المواتية لروح الفريق، وزيادة الإنتاجية.

3-إدارة الأخلاقيات بكفاءة تشعر العاملين والأساتذة بالثقة بالنفس.

4-الالتزام الخلقي بالمنظومة التعليمية يؤمنها ضد المخاطر>>(الركب، 1986).

إن ممارسة أخلاق الفهم أمر ضروري حتى يتوضح المعنى ولا يبتر أو يشوه، ذلك أن << أخلاق الفهم هي عبارة عن فن العيش الذي يتطلب منا أولا أن نكون قادرين على الفهم بشكل نزيه، إنها تتطلب مجهودا كبيرا لأنه لا يمكن أن ننتظر من الآخر أن يعاملنا بالمثل >>(الزويتي، 2017).

إن الدعوة هنا واضحة وصريحة، إنها تقر بأن الآخر حتى وإن كان مختلفا عني، وغير قادر على تمثل تنوعي وقدراتي، فأنا يجب أن أتميز عنه وأصنع لنفسي مساحة واسعة كافية لكي أفهمه من خلالها جيدا عن طريق الاعتماد على ميتازوايا نظر، ولذلك قرر موران بأنها عملية صعبة وليست هينة على الجامعة استيعابها، ولكن مع تعلم هذا النمط من السلوك، سوف نرتفع بمستوى تعامل البشرية مع بعضها من حيز الضيق إلى أفق تحقيق الانفتاح والاحتواء.

إن من متطلبات أخلاق الفهم المحاججة والحوار عوض عزل الآخرين ولعنهم، وتوصيفهم بكلمات بذيئة لا تليق بالرواق الأخلاقي الراقي على شاكلة الخيانة والعجرفة والغباء... وغيرها الكثير، لأن هذا الفعل يمارس زيفا وعتمة وتضليلا كبيرا عن الذات مما يمنعها فيما بعد عن الاعتراف بخطئها عند اكتشافه.

ولذلك << علينا أن نربط أخلاق فهم الأشخاص لبعضهم البعض بأخلاق العصر الكوكبي(*) الذي يتطلب عولمة الفهم >>(غراف، 2010-2011، ص ص49-50).

ومن ثمة كان لزاما ملحا على الثقافة الغربية المتكبرة التي سوقت لنفسها صورة براقة وأسطورية تظهر فيها أنها النموذج المثالي والرائع، والذي يجب أن يحتذى به، وأن تتعلم منه جل الثقافات عبر العالم، وبالنسبة لها فهي لا تحتاج للأخذ والتعلم من أي ثقافة أخرى لأنها متشبعة ومكتفية بما تزخر به من خيرات وثراء.

وهذا في الحقيقة فهم خاطئ ويؤدي إلى كوارث تاريخية لا قبل للبشرية عليها، لأنه حسب تصريحاتها تكون الثقافة الغربية بعيدة تماما عن ممارسة الفهم الصحيح- المبني على التعلم من الآخر وتبادل الخبرات والمعارف معه-، لأن الصواب يسكن في الجميع على اختلاف عناصرهم وتفاصيلهم، وبالتالي تكون أخلاق الفهم حسبه هي القدرة على التعلم وإعادة التعلم من جديد من أي طرف أو في حالة نسيان القديم المقترح وهي من النقاط الهامة والضرورية التي ينبغي على الجامعة مراعاتها ومعالجتها وتفعيلها.

وفي كل ثقافة تكون العقليات متمركزة حول العرق أو حول المجتمع، وبالتالي تمجد داخلها، ومنغلقة تجاه الثقافات الأخرى.

<< وترتبط الأخلاق بالرفاه البشري، فكل المثل الأخلاقية مثل العدالة والجمال والرحمة والفضيلة والتسامح والحرية والحقوق مصدرها انشغالنا البشري الجوهري بما هو أجود وأصلح لنا، وكيف ينبغي أن نعيش>> (إبراهيمي، 2013-2014، ص68).

(*) العصر الكوكبي: مصطلح مركب نحته إدغار موران، يفيد أن العصر الحالي الذي تعيشه البشرية جمعاء يمتاز بمصير مشترك واحد، وتفاعلات واحدة، وتقنية وتواصل واحد، وأكلات وملابس ومظاهر واحدة، وعليه أضحى عصرا واحدا يجمع مصير سكان الكوكب في مصير واحد، أين أصبحوا أكثر قربا وأكثر إلتقاءا.

يمكننا أن نعرف المنطق الذي تشتغل به الأخلاق من خلال العلم المعرفي والدلالة المعرفية الذين سوف يجعلاننا نحلل وبعمق تصوراتنا الأخلاقية، هناك الكثير من النقاط التي يجب أن نتعرض لها في سياق حديثنا عن الأخلاق، إننا نجدها مبثوثة في كافة الثقافات المختلفة على سبيل المثال نظرية الكارما(*) البوذية(**) Karma التي تقوم على المحاسبة الأخلاقية مع الكون، حيث أنك لن تأخذ من هذا العالم إلا ما تستحق بحسب العمل والنية والإقدام.

فهناك إذن منطق توازنات بين الأشياء الحسنة والأشياء السيئة التي تحدث لك، والأخلاق كذلك تقوم وفقط إذا حدث توازن بين الحقوق والواجبات الخاصة بالإنسان، وإن أي اختلال أو فوضى تطرأ عليهما، فإنه بالضرورة ستطرأ على الأخلاق نفس الفوضى، فيختل بهذا الفعل نظام الكون.

ثم إن للأخلاق سلطة مبنية على الهيمنة الموجودة في العالم الفيزيائي والتي تتجسد في أشكال عدة كسلطة الأم والأب، وسلطة العدالة وسلطة المعلمين... إلى آخره.

عندما نقفز إلى سلم آخر من سلالم الأخلاق الكثيرة وخاصة ما تعلق منها بالدين، نجد أنها في الديانات التوحيدية (الإسلام، المسيحية، اليهودية) تعود إلى مصدر الإله الواحد المشرع الذي يبين لعباده طرائق الخير وكيفية قطفه، وسبل الشر وكيفية اجتنابه، فالإله إذن هو الدليل الأعظم والكلي على الأخلاق في العالم.

لا شك في أن الحضارات التي لا دين لها هي حضارات فارغة جوفاء، ويجب في هذا المقام أن نفهم ونحدد معنى الأديان أو الدين، الذي يكون ضروريا في بنائها ودفعها نحو أفقها الأقصى، ونحن هنا نعني ذلك الدين المطور والممتلئ بالمعنى الايجابي من تسامح وفضيلة ورحمة، في الحقيقة خلافا لكل الأديان المعروفة في العالم فإن الجامعة تسعى وهذه إحدى مهامها القصوى إلى إرساء معالم دين جديد منفتح وواسع ومتواشج ومتفق مع غيره يحافظ على خصوصيته ويحترم خصوصية الآخر، في ظل الصراعات والصدامات والمشاحنات التي تعرفها المعمورة بين الحضارات والأديان كل منها يحاول فرض نفسه بمنطق القوة والتعسف.

وعليه فإنه من الضروري بما كان أن تتنبه الجامعات أكثر إلى مثل هكذا قضايا حساسة تؤثر في البشرية التأثير العميق والبليغ، يقول بولس يازجي: << هذا هو المستقبل الآتي في دهر العولمة والتقدم والمنطق، و ما يقابله من نزاعات في الانتماء والهوية، حيث لا تلغي الهوية الشخصية الآخرين، بل

(*) الكارما Karma: هو مفهوم أخلاقي في المعتقدات الهندوسية والبوذية واليانية والسيخية والطاوية، ويعني الفعل أو العمل، وهو مرتبط بالنوايا الفردية حيث أن كل نية حسنة أو جيدة تجلب كارما حسنة أو جيدة والعكس صحيح، وهي مرتبطة أشد الارتباط بالمستقبل من حيث السعادة والتعاسة، فالأفعال الأخلاقية التي يقوم بها الكائن الحي وما يترتب عن هذه الأفعال من عواقب بحسب الفعل الأخلاقي.

(**) البوذية: ديانة دارمية، تعد رابع أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية والإسلام والهندوسية، يصل تعداد معتنقيها إلى أزيد من 520 مليون نسمة ظهرت في البداية في شمال الهند ثم امتدت إلى أكثر من 12 دولة آسياوية بالإضافة إلى أقليات في عدد من الدول الغربية، تتمحور البوذية حول جواهر ثلاث هي: الإيمان ببوذا كمعلم مستنير، والإيمان بدارما وهي عبارة عن تعاليم بوذا، ثم أخيرا الإيمان بالمجتمع البوذي.

تعرف ذاتها بمقدار ما تعرفهم، وتبلور ذاتها بمقدار ما تفهمهم، الطريق اليوم إلى تأكيد الذات ليس الانتماء الموروث المغلق الطائفي إلى دين دون سواه، بل هو بناء الذات انطلاقا من الدين والمذهب والثقافة الموروثة، باتجاه الثقافة والدين كحياة بشكلها المنشود، وهذا الشكل الأخير لا يأتي من قراءة الذات فقط، بل من فهم كل مطلق وخير في خبرات الآخرين، بحيث يحافظ دين المستقبل على الهوية، ويلاقي بالمقدار ذاته الآخرين في قبلة السلام<< (يازجي، 2006، ص 9).

لقد فسرت الأخلاق في المذاهب والأنساق الفلسفية المختلفة، كل بحسب ميولاته المعرفية، وإيمانه الفكري بقوة طرحه، كارتباط الأخلاق بمذهب المنفعة وجعلها شرعية حين لا يضر الأمر بالآخرين، ولا شرعية حين يحضر العكس، وكذا مذهب الفضيلة الذي تحدث عنه أرسطو وكانط(*) Immanuel Kant (1724– 1804) كثيرا في أنها مبنية على سلطة الواجب وقوة القرار، مع ضرورة ذكر أن أرسطو قد تناول الموضوع بنوع من التفصيل والأريحية أكثر من كانط الذي جعل مجالها ضيقا ومحصورا عندما أرجعها لفكره الواجب العقلي المنزه من كل غرض، وكذا نجدها في المذهب الوجودي الذي يعنى بأهمية الإنسان وقدره، وغيرها من المذاهب والرؤى الكثيرة التي لن تكفيها ورقة أو مبحث ولن نفيها حقها.

لقد حدث أن صادف جون جاك روسو، إعلانا نشر بأكاديمية ديجون بمجلة ميركور دي فرانس في عددها الصادر عام الصادر عام 1749، يتحدث عن مسابقة لأفضل مقالة مجيبة عن سؤال:هل يساهم إحياء الفنون والعلوم في تهذيب الأخلاق؟.

وإن الإجابة التي منحها روسو لهذا السؤال كانت تمثل المنطلق الأقوى لجملة أفكاره ومطارحاته التي قدمها فيما بعد، صحيح أنه قد اعترف أنها كانت مقالة رديئة، وتحوي الكثير من الضعف والوهن بشهادته وشهادة الكثير من نقاده لأنها مبنية على معطيات بعيدة عن المنهجية والترتيب والتنظيم المنطقي، لكنها الدافع الأعظم والبصيرة الأولى لكل منجزاته المعرفية، لأنها كشفت له الغطاء عن الكثير من الرؤى الثاوية، وكانت بمثابة المفتاح الذي احتاجه حتى يخرج الكثير مما كان مسبورا.

لقد جاء في هذه المقالة <<كيف للفنون والعلوم أن تكون مسؤولة بشكل شامل هكذا عن الاضمحلال الأخلاقي للإنسان؟ من ناحية رأى روسو أن كل العلوم تشكلت بسبب التكاسل حيث انبثق كل تخصص من الرذائل التي يتسبب فيها التكاسل>> (ووكلر، 2015، ص ص30–31).

إنه يقر بأن الحضارات القديمة كالفارسية مثلا نجحت لأنها اعتمدت على الفضائل، فاستطاعت هزيمة أقوى الجيوش وغزو آسيا، وكذلك الصينيون حين هزموا التتار، وأيضا الألمان عن طريق براعتهم وروحهم الوطنية.

(*) كانط: فيلسوف وفيزيائي ورياضي وتربوي وكاتب ألماني، تخصص في نظرية المعرفة، وما وراء الطبيعة، والأخلاقيات، يعد آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، تأثر بأفلاطون، وديكارت، جون لوك، سبينوزا...إلى آخره، وأثر هو الآخر في مجموعة كبيرة من الفلاسفة مثل فيخته، هيجل، والكانطيون الجدد...، له مجموعة أعمال بارزة مثل، نقد العقل الخالص 1781، نقد العقل العملي (متعلق بالأخلاق) من أجل سلام دائم...

إذن فالعلوم والفنون في أغلب الأحيان مفسدة للأخلاق لأنها تجعل الإنسان يعول عليها فيفقد بذلك قوته وجرأته وشجاعته، الأمر الذي يسبب الخوف والجبن والدياثة.

ربما هناك ما يقال بالنسبة لوجهة نظر روسو في جانب من جوانبها، إذ لا ينبغي أن ننكر فضائل العلوم والفنون في حياتنا وكيف ساهمت هي الأخرى في تهذيب أخلاقنا الإنسانية ونشرها، ولكن في جانب آخر كان محقا فيما نرى الآن، لأن العلوم التي خلقت لنا التكنولوجيا أضحى مالكها يعول على قوتها عن طريق الضغط فقط على زر من الأزرار فيبيد به عدوه دون أن يحتاج إلى رفع معنوياته أو تدريب جسمه أو قراءة الكثير من فنون الحروب والشجاعة وقوة النفس.

لقد وضع موران جملة من الأهداف الأنثروبو أخلاقية (*)بغية استثمارها في فهم الإنسان و الوجود بكل ما يحمله، فكانت هذه الأهداف هي الأخذ بعين الاعتبار الشرط الإنساني: الفرد، المجتمع، النوع البشري في إطار وجودنا المركب.

وجعل الوعي الإنساني متدفقا صوب اكتمال الإنسانية مع الأخذ بعين الإعتبار المصير الإنساني في تناقضاته وفي امتلائه، ثم مراعاة الخصائص الجديدة للألفية الثالثة على غرار دفع العجلة إلى الأفق الأمامي الأقصى لفرض أنسنة الإنسانية، ثم محاولة معرفة الطريقة الأنسب لقيادة الكوكب عن طريق إعطاء الفرصة للحياة بأن تتسيد تارة، ونتسيد عليها بالسيطرة والتحكم تارة أخرى حتى لا تختل الموازين. بالإضافة إلى العمل على تكريس مفهوم الوحدة الكوكبية دون إلغاء التعددية والاختلاف، وكذا العمل على تحسين وتطوير خلقي التضامن والفهم، وهو عمل أكاديمي تطبيقي يتحتم على الجامعات أن تقوم به، هكذا فالأنثروبوأخلاقية تتضمن الأمل في اكتمال الإنسانية، بما هي وعي ومواطنة كوكبية، إنها تتضمن إذن كباقي الأخلاقيات تطلعا وإرادة، ولكن تتطلب أيضا حضور المراهنة داخل اللايقين، إنها عبارة عن وعي فردي يتجاوز النزعة الفردية (موران، 2002، ص100).

إن الأخلاق كفعل ممارس عند كانط مرتبط في نهاية المطاف بنتائجه الخارجية دون مراعاة المنافع واللذات التي تأتي من ورائه، إنه << يستمد قيمته من كونه صادرا عن الفاعل بدافع من الإحساس بالواجب العقلي في ذاته، وإمعانا في هذا ينفي صفة الخيرية بمعناها الحقيقي عن كل شيء عند الإرادة الخيرة التيتعد شرطا ضروريا لكي

يكون الفعل الأخلاقي خيرا، فالفعل يكون خيرا فقط إذا لازمته إرادة خيرة(*)، كما أنها هي الشرط الذي لا غنى عنه لكي يكون الإنسان خليقا بالسعادة >> (ووكلر، 2015، ص 5).

(*) الأنثروبوأخلاقية Enthropo-éthique: مصطلح مركب من لفظين هما الأنثروبولوجيا والأخلاق، وقد إستعمله إدغار موران في هذا الشأن بكثرة ليدلل على العلاقة الوطيدة والمتلاحمة بين السلوك الأخلاقي للإنسان وعلاقته بالخصائص الأنثروبولوجية التي تسيره، وتؤثر فيه من جهة، ويؤثر هو عليها من جهة أخرى، فالأخلاق عنده في نهاية المطاف هي نتاج لمرتدات الخصائص الإنسانية الخاصة بالفرد والذي ينتمي هذا الأخير إلى بيئة معينة تحمل ثقافة خاصة، بها تنوع وتناغم مختلف، فالأخلاق إذن سلوك أنثروبولوجي بإمتياز.

ثم إن كانط قد تحدث في نفس السياق عن مسألة المبادئ الأخلاقية بوصفها المظهر الأساسي والكلي للقانون الأخلاقي، إذ أنها المحرك الفاعل لإرادة الإنسان الحرة والواعية، وكذا نوعية اختياراته المرتبطة وغير المرتبطة بالفطرة الإنسانية الأولى، فتكون بهذا هذه المبادئ مصبوبة على ذات الإنسان المنتمية لعالم المعقولات وفي الآن نفسه مربوطة بالإرادة المطلقة اللامتناهية له، فيكونان<< هذان المصدران باعتبار كونهما فطريين مكنونين في النفس الإنسانية مسبقا، يوجدان لديه إيديولوجيا أخلاقية شمولية خالدة>> (صالحي، 2019، ص54).

إذن فالأخلاق وفق ما يرى كانط هي<< علم العمل بالمعنى الموضوعي لهذه الكلمة، من حيث اشتمالها على جملة القوانين المطلقة التي ينبغي أن نعمل بمقتضاها>> (موران، 2002، ص100) أي أنها فعل مجسد في الواقع يمكن مشاهدة ملامحه ووصفه ونقده بكل سلاسة دون لبس أو تعتيم.

إنها بلغة فوكو مبثوثة في شتى الأجساد التي نعيشها ونعايشها، إنها المشروع والأمل في السياسة بكثرة حسب كانط وفي الإقتصاد بوفرة حسب ماركس، في

المجتمع حسب دوركايم(**) David Emile Durkkeim (1858-1917)، وفي علم النفس حسب جاك لاكان(***) Jacques Lacan (1901-1981)،

وفي التجارب الحية حسب كلود برنارد Claude Bernard (1813- 1878)، والقائمة طويلة وقد لا تنتهي.

وبالتالي على الفرد والجماعة على السواء نشرها وممارستها والتحلي بها حتى نضمن أخلاقا موضوعية كونية توحد أفراد الكوكب، وتسهم في إبعاد مظاهر التبعية والكره والحروب الفساد، بالأخلاق فقط حسب إدغار موران نصل إلى وحدة كوكبية كونية متآزرة ومتفاهمة ومتفهمة في الآن معا، تنبذ الطائفية المفرقة، والعرقية والطبقية والراديكالية ساعية إلى إحداث توازن سلس خفيف متناغم ومتجانس. إن المجتمعات البشرية التي تنتج العلوم والمعارف في جامعاتها هي تلك المجتمعات التي تنشد الحضارة والتحضر عن طريق تفعيل مسببات ذلك وإحداثهما، وعليه فإن هناك علاقة وثيقة بين العقل المجتمعي

(*) الإرادة الخيرة: نجد هذا المصطلح بكثرة في المتون الكانطية دون أن نقصد بهذا أنه حكر لديه ولم يتجرأ على لفظه أو توظيفه آخر غيره، وهو ما يعني أنه بفعل إرادة الإنسان الحرة التي يصنع بها ما يشاء وفق قرار واع ومسؤول، فإن هذه الإرادة أيضا فيها نوع خير قادر على العطاء الإيجابي والتغيير البناء نحو الأفضل، فهي إذن إرادة مقترنة بكل سلوك خير معطاء يضيف للإنسان والعالم.

(**) دوركايم: فيلسوف وعالم اجتماع وكاتب فرنسي، أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وضع منهجية مستقلة تقوم على التنظير والتجريب معا، تأثر بأوجست كونت، ومنتسكيو، وسبنسر...إلخ، لديه مجموعة من الأعمال أهمها: قواعد المنهج في علم الإجتماع (1895)الإنتحار(1897)...إلخ.

(***) جاك لاكان: هو طبيب وكاتب ومحلل نفسي فرنسي تأثر بيسيغموند فرويد وفيرديناند دي سوسير، ينتمي إلى التيار البنيوي، كتب بالفرنسية والألمانية، أبرز أعماله كانت عبارة عن حلقات مجموعة في شكل كتب.

في كيفية تكونه / تكوينه، وبين إنتاجه للحضارة ومعايشته لها، وفي هذا السياق يتساءل علاء الدين الأعرجي قائلا:<< ... لماذا تسير بعض المجتمعات في طريق التقدم والحضارة، وتبقى مجتمعات أخرى محافظة على حياتها البدائية منذ ألاف السنين حتى يومنا هذا؟ >> (صالحي، 2019، ص54).

ولاشك أن الإجابة بكل بساطة هي اهتمام بعض المجتمعات بالعلوم والمعارف وتطويرها في قبال أخرى همشت هذا الفعل ولم توليه أدني اهتمام: فالعقول عندما تريد أن تحسن من واقعها وتبني مستقبلها ،تقوم بأفعال تغييرية ثورية مناهضة للواقع المفروض، وهنا << نلاحظ أن كل تلك العقول تظل إما سجينة العقل المجتمعي، الذي يفرض عليها قيم الإتباع بدل انطلاقها في عملية الإبداع، أو أنها تبقى تعاني ضالة الإمكانات التي توفرها لها الحياة الجامعية والعملية التي لا تشجع على البحث والاستكشاف، سواء داخل إطار الجامعة أو خارجها، من خلال مراكز الأبحاث المتقدمة>> (إيمانويل، 1952، ص87). فيلجأ الباحث داخل المجتمع إلى تفعيل طاقاته بحثا عن مخرج من ضغوطات البيئة وضعف إمكانات الجامعة، وعليه فإنه هنا بالذات يلاحظ الدور الفعال للجامعة القوية والمبنية على أسس صلبة في قيام الحضارة.

بحيث نجد اتحاد المجتمع المنغلق مع الجامعة الضعيفة من الناحية المادية والنظرية يؤدي مباشرة إلى تغييب العقل الفعال ومحوه.

إن من أهم ادوار الجامعات في البناء الحضاري هو توعية الفرد والمجتمع بمجموعة من المسائل الأخلاقية ليحض بالركب، منها رفضهم للمنطق الحتمي والجبري الذي يجعلهم غير متحكمين في مستقبلهم، فلكي يستطاع مواجهة جل تحديات المستقبل ينبغي القيام بنوع من التطهير للعقول من رواسب التواكل والجبرية حسب منطق المهدي المنجرة،<< إن رؤوسنا شبيهة بمزبلة كبيرة، ونحن في الحاجة إلى المساحين والشاحنات لتنظيفها وتطهيرها مما فيها من نفايات>> (المنجرة، 1995، ص173).[2]

وعليه لكي نبي مستقبلا واعدا قويا متماسكا ينبغي أن تزال عراقيل وتراكمات تراثية فكرية جمة، هكذا تصنع الحضارة وتعظم، ثم إن الدراسات المستقبلية التي تقوم بها الجامعات ذات أهمية إستراتيجية حادة، وإهمالها والتهوين منها يعد من ابرز سمات التخلف في المجتمعات وبناء الحضارات،<<وإنه لصعب بإستمرار أن تفهم قاعدة هي في غاية البساطة، مفادها إن المشكل بقدر ما يكون خطيرا وعويصا وملحا ومستعجلا، بقدر ما يتطلب حله نظرة طويلة الأمد، لذلك كان التطور لا يسري في شعب إلا إذا مكن

نفسه من وسائل التفكير في المستقبل، باحثا عن الاتفاق وسبله، حول مشاريع الغد التي تهم المجتمع<<(المنجرة، 1995، ص174).

وعليه فالتركيز على الأخلاق في الفضاء الجامعي على وجه الخصوص هو الحل للخروج من شتى الأزمات التي يعاني منها الكوكب.

لكي تكون للجنس البشري أخلاق سامية وراقية، ينبغي أن يمتلك بادئ ذي بدء أخلاقيات التواصل من حيث المفهوم والأدبيات فأخلقة (*) التواصل الإنساني، أمر في غاية الأهمية، وهو الشرط الذي تتحقق به هويتنا الكوكبية، من خلال تقبل الغير المختلف عنا في كل شيء << نحن نتعلم بموجب الثقافة الخاصة لكل منا، ومن منطلق انتمائنا لهذا الكوكب– كوكب الأرض– وبه نحن في حقيقتنا لا ننتمي إلى ثقافة واحدة معينة، بل لثقافات عديدة، وتجعلنا نشعر بوجودنا ككائنات أرضية>> (Morin, 1999, P41).

نقد وتقييم: رغم ما يحمله مشروع إدغار موران الفكري من أبعاد وطموحات رامية إلى التجديد والتغيير ببديل خاص إلا أننا نجده قد وقع في عدة منزلقات وواجه جملة مطبات منها البالغة في تبرئة أفكار الفكر المركب إلى غاية المثالية، بل والمثالية المفرطة أيضا ،فواقع الجامعات الغربية والجامعات العربية مثلا ليس سين إطلاقا لا من حيث التمويل ولا جودة برامج التدريس ولا منهج ونظام المادة المعرفية ولا من حيث التكنولوجيا والقائمة عند عدها تطول، وهذا يوضح أن الدعوة إلى تطبيق أخلاق قاعدية مركبة من/في الجامعة سوف لن يكون بنفس المستوى ولا بنفس المعيار.

كما أن إبستيمولوجيا التعقيد القائمة على فكرة الحوار والانفتاح والتفاعل والتواشج والوصل والتفاهم والتلاقح ... في المعرفة وبها يتأسس كل فعل ويكون حتى الأخلاق قد أهملت هذه الابستيمولوجيا حقيقة الواقع المعاش المليء بالحروب والعنف والكراهية والحقد والأنانية والفردانية وهذه الخصال تخلق بيئة عصية من الصعب أن نطبق عليها المبادئ الأخلاقية إلي تنشدها الجامعات والمؤدية لظهور وإحقاق الإنسانية المتفاهمة والمتعايشة والمتضامنة مع بعضها.

إن ما ذكر من شروط سابقة يفتح مجال التأويل في الاعتقاد من أن نظرية الفكر المركب أوروبية أكثر منه عالمية وذلك لاستيفاء أوروبا شروط الحضور في حين نقصها أو غيابها في باقي بلدان العالم.

خاتمة وتوصيات:

من خلال هذه الدراسة استطعنا الوقوف على العديد من النتائج أهمها:

الجامعة فضاء محترم ومقدس ينبغي مراعاة خصوصياته وأسسه وضوابطه واحتياجاته.

(*) أخلقة التواصل: يدعو موران بل ويشدد على ضرورة حضور الأخلاق عن تواصل البشرية المختلفة الميراث والخصائص عن بعضها البعض، ومهما كانت المسافات بعيدة، والإختلافات كثيرة فإن التواصل بين هذه الشعوب والأمم لا يحدث بطريقة سلسة ومريحة إلا من خلال التحلي بالأخلاق التي تضمن الاحترام المتبادل وتقبل التمايز والتحاور والتبادل دون عنصرية ولا إقصاء ولا اختزال للهويات المختلفة عند تواصلها مع بعض.

تسعى الدول في شتى بقاع العالم إلى رفع المنتوج العلمي والمعرفي الجامعي إلى أعلى الدرجات وذلك يقينا منها أنها لن تبلغ مبتغاها إلا بالمضي بعد مباركة ضخمة من هذا الصرح.

إن اختلاف درجات التحضر في المجتمعات يعزى إلى قلة الاهتمام بالأبحاث الجامعية التي من شانها أن تطور المستوى البدائي أو الضعيف لها وتقربه من درجات الكمال.

لابد من انفتاح الجامعة على محيطها الخارجي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وحتى السياسي والديني لكي تضمن عملية تبادل الخبرات والمنفعة، وبالتالي الابتعاد عن الانطواء والتقوقع السلبي الذي لا يثمر بنتيجة إيجابية مطلقا.

الاستفادة من خبرات الآخر في مجال تطوير وتحسين جودة الجامعات من خلال الاحتكاك به، والنظر في النتائج المتوصل إليها، ومن ثم أخذ ما يناسب وبلائم خصوصيات الجامعة المستفيدة.

ثم إن كل ما ذكر من نتائج حول الجامعة لا يتأتى إلا بوجود وحضور الأخلاقية فيه، حيث أن هذا الانفتاح والقوة والاهتمام يكون بتفعيل الأخلاق داخلها.

فالعلاقة إذن مركبة ومتفاعلة ومتحاورة، فالجامعة مقر حاضن للأخلاق إنتاجا وتفعيلا ودعوة إليها ،لتقوم الأخلاق هي الأخرى بإنتاج الجامعة بعد حين وتقويتها بنفس الطلبة والطرائق والمناهج الأولى.

وعليه تكون الأخلاق أحد الأسس الفكرية الضرورية لنظرية التعقيد، وطرحها وتفعيلها ضمن المضمار الإبستيمولوجي البناء للقيم الإنسانية في الجامعات ولملمة العلاقات البشرية المشتتة واجب ولازم، لا يمكن أن نصوغ أدنى فكرة في أي حقل من الحقول المعروفة والشاذة بعيدا عن ارتباطاتها بمنظومة الأخلاق، فهي السبيل الوحيد الذي يسمح لنا بتقييم المسألة من حيث التقبل والنفور، وكذا من حيث الأخذ والترك، فالأخلاق دين الإنسانية الذي يوحدها ولا تجد حولها أي اختلاف .

لقد حاولت بعض جامعات العالم تحقيق الأخلاقية المركبة وخاصة في جامعة السوربون، وذلك بدمج مجموعة الممارسات والإشتغالات المعرفية المختلفة للطلبة والأساتذة داخل الجامعة مع ما نظر له إدغار موران، فلوحظ ارتفاع معتبر لنسبة التفهم والتقبل للرؤى والأفكار المختلفة أثناء النقاشات والحوارات، وبالتالي خف حجم الدوغما الذي كان يحيط بعقليات المجتمع الجامعي، وهو الأمر الذي فتح الباب لتقبل التخصصات لبعضها البعض بشكل أقوى وأكثف، أي إحقاق ما يسميه موران بانفتاح المعارف على بعضها البعض ودمجها ضمن حلقات تحوي إحداها الأخرى وتتناغم معها دون أن تنصهر داخل بعضها، وهو ما يؤكد أن المطارحات الفلسفية التي كثيرا ماتوصف بالمثالية والطوباوية يمكن تحقيقها على المستوى الميداني الواقعي.

بالنظر إلى الدور الكبير الذي تلعبه الأخلاق على كافة الأصعدة عموما و في نطاق الجامعة على وجه الخصوص، فيكون من الضروري أن تهتم مخابر البحث العلمي على مستوى كل الجامعات بكيفية دائمة ومتجددة وسريعة بالأخلاق ومختلف تمضهراتها، وتأثيراتها القوية والفعالة على المجتمعات ككل خاصة الفئة الشبابية و طبقة المراهقين الوافدين على الجامعات حديثا ،أي المتحصلين على شهادة

البكالوريا والمنتمين للجامعات في وقت قصير، وهذا نتيجة تأثيرها الإيجابي على سلوكياتهم المتجسدة في ممارساتهم اليومية الواقعية من قيم تطبيقية ومفاهيم إبداعية ، ودعم للثقافة و الهوية الفردية والمحلية الخاصة .

الدعم والتحفيز أكثر على الدراسات والأبحاث والاشتغالات الهادفة إلى التوعية و التحسيس بهذه الهالة العظيمة ذات المسار والخطورة والعمق، من نقطة منطلق تحتويها العائلة أو الأسرة الصغيرة لتتوسع البؤرة إلى المجال الأرحب والفضاء العمومي الأكثف .

ثم الاستعانة بالانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بين فئة الجامعيين، لتشجيع فعل الفضيلة والحد من الرذيلة وكل ماهو سلبي وهادم ومسقط .

قائمة المراجع:

أولا – المراجع باللغة العربية:

–موران، إدغار.(2002). تربية المستقبل– المعارف الضرورية السبع لتربية المستقبل–(ط1). ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي. الدار البيضاء. المغرب: دار توبقال للنشر.

–موران, إدغار (2005). ثقافة أوروبا وبربريتها. ترجمة محمد الهلالي. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر والتوزيع.

–الأعرجي، علاء الدين. (2005). أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي– بين العقل الفاعل والعقل المنفعل– (ط.05). لندن: مطبوعات إي–كتب.

– المنجرة، المهدي.(اوغسطس1995). الحرب الحضارية الأولى (الطبعة المصرية الأولى): مكتبة الشروق، البورصة الجديدة. قصر النيل.

–زكي، مبارك.(1988). الأخلاق عند الغزالي (ط1). بيروت. لبنان: دار الجيل.

–صالحي، أمير عباس.(2019). إيمانويل كانط الجزء الثالث– فلسفة الأخلاق– الحداثة(ط1). إيران: العتبة العباسية المقدسة. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.

–غري، الأخضر.(2016). دور الجامعة في تحقيق التنمية المستدامة (دراسة لواقع الجامعة الجزائرية). المؤتمر العربي السادس لضمان جودة التعليم العالي.

–كانط، إيمانويل.(1952). مشروع السلام الدائم (ط1). ترجمة عثمان أمين. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

– ك، نيشيف– وفولتشنكو. (1998). أخلاقيات السعادة (ط1). ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني. دمشق. سوريا: دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع.

– محمد، سيد أحمد.(1992). الأخلاق عند هيوم. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

-ووكلر، روبرت.(2015). روسو. مقدمة قصيرة جدا(ط1). ترجمة أحمد محمد الروبي. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

-يازجي، بولس.(2015). دور الأديان في مستقبل الحضارات:أي دين و أي دور؟. متروبوليت حلب والاسكندرون وتوابعهما للروم الارثوذكس. جامعة حلب .

-زويتي، سارة. (2017، ديسمبر). رؤية نظرة حول أخلاقيات المهنة داخل الحرم الجامعي. مجلة العلوم الانسانية. المركز الجامعي تندوف. الجزائر. العدد 03.

-عبد الله، الركب.(1986). التعليم العالي في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. حوليات جامعة الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. العدد01.

-ابراهيمي، نادي. (2013_2014). دور الجامعة الجزائرية في تنمية رأس المال البشري. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية والتسيير. جامعة فرحات عباس سطيف. الجزائر.

-غراف، نصر الدين.(2011/2010). التعليم الإلكتروني مستقبل الجامعة الجزائرية_ دراسة في المفاهيم والنماذج _ أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم المكتبات غير منشورة. جامعة منتوري قسنطينة.

ثانيا – المراجع باللغة الفرنسية:

Edgar, Morin.(1999) .Les Sept Savoirs Nécessaires à l'éducation du futur. organisation des nation unies pour l'éducation. la science et la culture: (UNESCO).

La Rousse ، (2008) .dictionnaire de Français : la présente édition.

ثالثا-المواقع إلكترونية:

- إدغار موران، وطارق رمضان: الأخلاق في عالم اليوم بين التنظير والتطبيق.

محاضرة على الموقع http://www.cilecentre.org/ar/activitie بتاريخ 2013/10/29